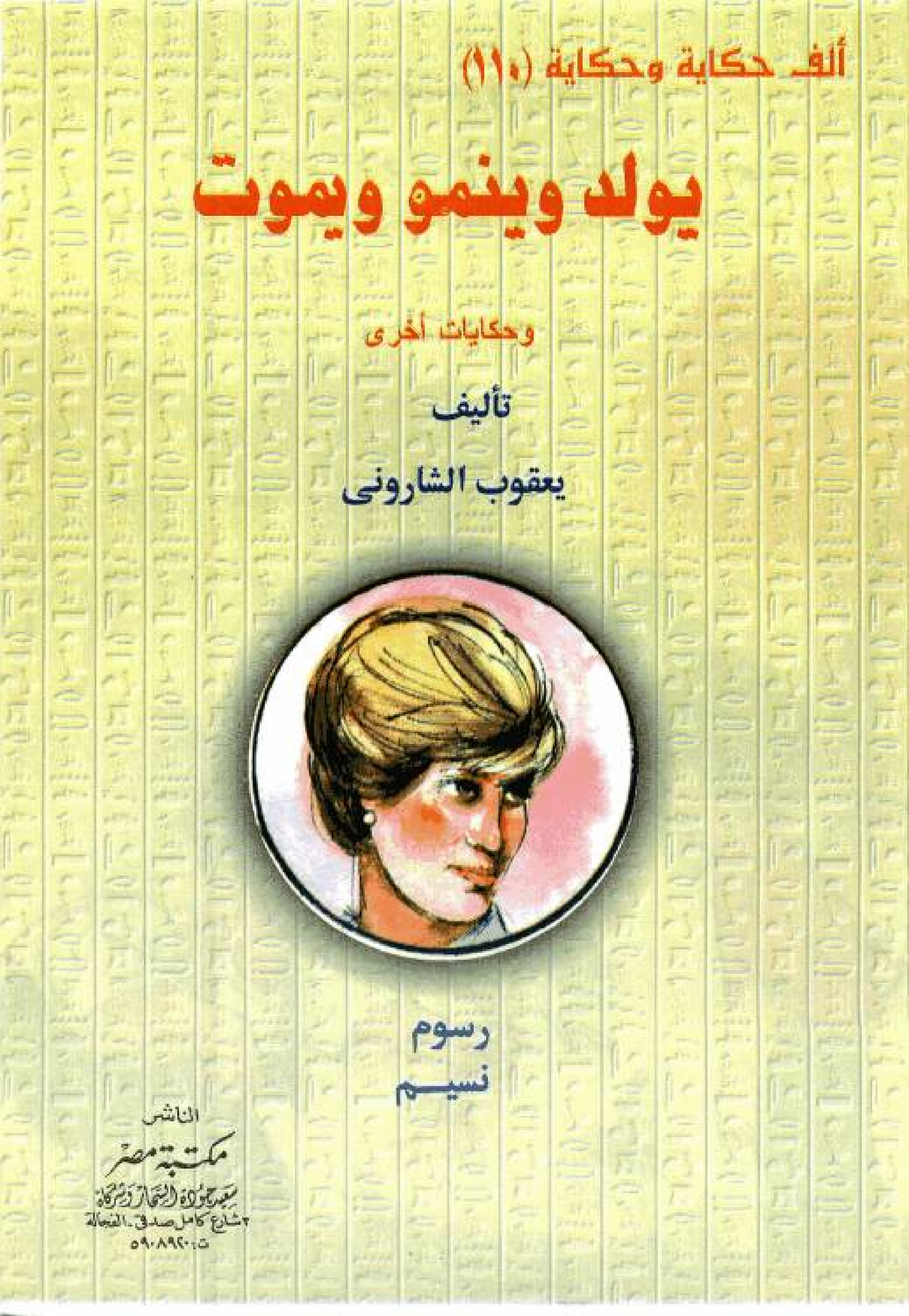

ألف حكاية وحكاية (١١٠)
يولد وينمو ويموت
وحكايات أخرى
تأليف
يعقوب الشارونى
رسوم
نسيم
الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى ـ الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠



يولد و ينمو ويموت

خلالَ إحدى محاضراتى الجامعيةِ ، سألَتْنى طالبةٌ : ابنى فى السادسةِ من عمرِه ، قالَ لى ذاتَ يومٍ بعدَ عودتِهِ من المدرسةِ :

" أين نذهبُ بعدَ الموتِ ؟ "

قالَتِ الأمُّ : " فوجئْتُ بالسؤالِ ، لكنى أجبْتُ بسرعةٍ : إلى الجَنَّةِ "

فانقَلَبَتْ ملامحُ وجهِ ابنى ، يُريدُنى أن أفهمَ أنه لم يقتنعْ بإجابتى. وبعدَ لحظةٍ قالَ :" زميلى أشرف .. جدُّهُ ماتَ .. ودفنوه فى الأرضِ .. فى القبر! "

قالَتِ الأمُّ حائرةً : " ولم أعرفْ بماذا أجيبُ !! "

قلْتُ لها : كانَ لأستاذِنا توفيق الحكيم ، ابنٌ اسمُهُ حسين،وقد ماتَ الابنُ وهو فى الثلاثينَ من عمرِهِ ، ونشرَ الأديبُ الكبيرُ مقالاً يقدِّمُ فيه الصبرَ و العزاءَ لنفسِهِ ، قالَ :

" البذرةُ لا تنمو إلا إذا دفنوها فى الطين .كذلك الإنسانُ .. طريقُهُ إلى الحياةِ الأخرى، أن يُدفَنَ . القبرُ ليسَ نهايةً .. إنه بدايةٌ . وبغيرِ مثلِ هذه البدايةِ ، لن تكونَ الأزهارُ ولا الثمارُ ولا الأشجارُ .. ولا الحياةُ الأخرى . "

وأضفْتُ : وذاتَ يومٍ ، شاركْتُ أبنائى وهم صغارٌ ، فى زراعةِ بعضِ الحبوبِ .. "دَفَنَّاها" فى كميةٍ من الطينِ ، داخلَ وعاءٍ وضعْناهُ فى شرفةِ منزلِنا .

وعندما شقَّتِ النباتاتُ الخضراءُ المورقَةُ المُتَفَتِّحَةُ ، طريقَها عن سؤالِهم : " أين نذهبُ بعدَ الموتِ ؟ " ، لأنهم لمسوا مثالاً محسوسًا ، يُقَرِّبُ الإجابةَ إلى خبراتِهم المحدودة ، وإلى أسلوبِ تعرُّفِ الأطفالِ على العالمِ ، بالمحسوساتِ وليس بالمجرداتِ .

هذا ما أفعله أنا أيضًا

في إطار استمرار أنشطةِ القراءةِ للجميعِ ، دعَتْني مدرسةٌ للقاءٍ مع أبناءِ وبناتِ القسمِ الابتدائِيّ ، في المكتبةِ .

سألَ أحَدُهم :" نعرفُ أنك تكتبُ في صحيفة " الأهرام " ومجلة " نصف الدنيا " ، وقرأنا لك عشراتِ الكتبِ للأطفالِ ،كما تقومُ بتدريسِ أدبِ الأطفالِ في الجامعةِ، ثم تلتقي بالأطفالِ والكبار في ندواتٍ مُتعدِّدةٍ، فكيف تستطيعُ التوفيقَ بين كلّ هذه الأنشطةِ ؟"

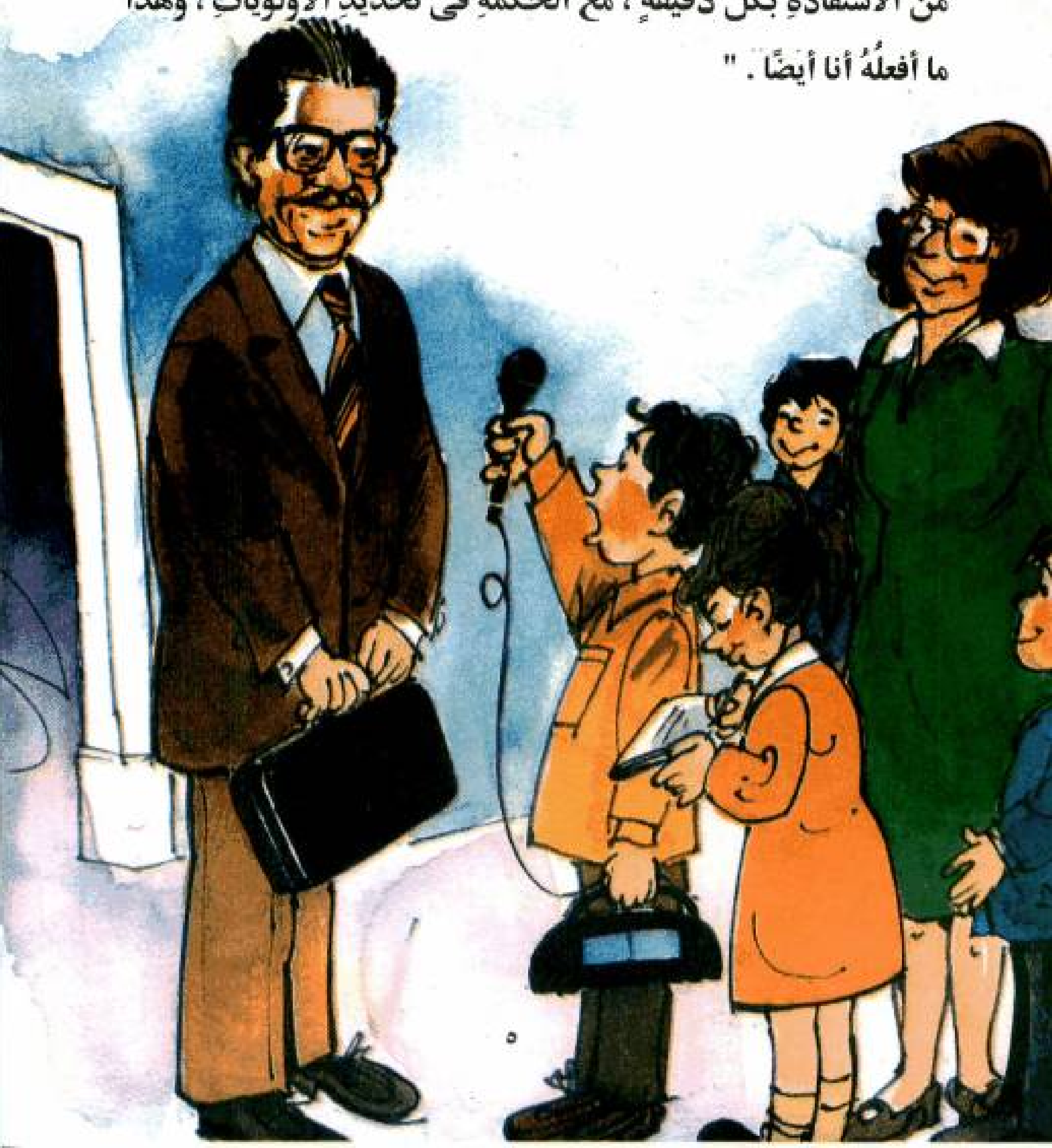
قلْتُ : " هذا سؤالٌ عليكم مساعدتي في الإجابةِ عنه ، فأنتم متفوقون في دراستِكم ، وبعضكُم يكتبُ الشعرَ أو القصةَ ، وشاهدْتُكم تمارسون مختلفَ الهواياتِ من موسيقى ورسمٍ وتمثيلٍ أو ألعابٍ رياضيةٍ ، فكيف تستطيعون التوفيقَ بين كلّ هذه الأنشطةِ ؟ "

أجابَ تامر : " لابد من تقسيمِ الوقتِ ، فلا يشغلنا نشاطٌ واحدٌ كلّ الوقتِ ، فمن الخطأ التركيزَ على اللعبِ وحدَهُ أو على مشاهدةِ التليفزيون فقط ، بل يجبُ أن نعطيَ وقتًا للمذاكرةِ ، ووقتًا للهواياتِ ، ووقتًا للتليفزيون . "

وقالَتْ رشا : " بالإضافةِ إلى ما قالَهُ تامر ، فلابد أيضًا أن نضعَ

أولوياتٍ عند تقسيمِ الوقتِ . فخلالَ السنةِ الدراسيةِ ، نبدأ بأداءِ الواجباتِ المدرسيةِ ، وبعدها نتفرَّغُ للقراءةِ الخارجيةِ ، ثم لبقيةِ الهواياتِ . وإذا تبقَّى وقتٌ ، فلبرامجِ التليفزيون الجيدة . "

قلْتُ لهم : " لقد سمعْتُ منكم أفضلَ إجابةٍ عن سؤالِكم .. فلابد من الاستفادةِ بكلِّ دقيقةٍ ، مع الحكمةِ في تحديدِ الأولوياتِ ، وهذا ما أفعلُهُ أنا أيضًا . "



الحفيد يكتب القصص

فى مكتبةِ الرعايـةِ المتكاملـةِ بالمعادى ، أثناءَ مهرجانِ القراءةِ للجميعِ ، جلسْتُ ساعتَيْنِ مع الأطفالِ نتحاورُ ، أشجِّعُهم أن يُجيبوا بأنفسِهم عن أسئلتِهم ، وأن يُعبِّروا بحريةٍ عن وجهاتِ نظرِهم المختلفةِ، حول ما يطرحون من موضوعاتٍ .



سألونى : " متى بدأتَ الكتابةَ ؟ "

قلْتُ : " لا أتذكَّرُ .. لقد بدأتُ كتابةَ القصصِ وأنا فى الثالثة الابتدائيةِ ، وكانَ عمرى ثمانِىَ أو تسعَ سنواتٍ . "

ثم أضفْتُ : " وحفيدى الآنَ فى الثانيةِ الابتدائيةِ ، عمرُهُ ثمانى سنواتٍ ، ويكتبُ القصصَ منذ كانَ فى الأولى الابتدائية . "

سألوا : " مَن الذى شجَّعَهُ ؟ "

قلْتُ لهم : " لقد فتحَ عينَيْهِ على الدنيا ، وهو يسمعُنى يوميًا أقرأ على أختِهِ ووالدتِهِ ، قصصى التى أنشرُها كلَّ يومٍ تحتَ عنوان "حكاية أعجبتنى " و " ألف حكاية وحكاية " ، ويسمعُ المناقشاتِ التى تدورُ بينى وبينهم أو مع أصدقائى ، حولَ كلِّ قصةٍ قبلَ نشرِها ، ويشتركُ مع أختِهِ فى مناقشاتِنا . "

" عاشَ فى بيتٍ به مكتبةٌ كبيرةٌ ، وشاهدَ الكبارَ يقرءون ، ووجدَ حولَهُ كثيرًا من الكتبِ المناسبةِ لمختلفِ مراحلِ عمرِهِ ، ووجدَ مَنْ يشاركُهُ الاهتمامَ بكلِّ كتابٍ . "

عندئذٍ قَالَ أصدقائى الصغارُ من رواد المكتبةِ : " لقد وجدَ حفيدُكَ : الكتابَ المناسبَ ، والقدوةَ ، والمشاركةَ التى نحتاجُ إليها جميعًا . "

لعبة الإبداع والابتكار

خلال شهور الصيف في أحد الأعوام ، التقَيْنا بالقراءِ الصغار في لقاءات ملآنـةٍ بالحيويـةِ والحـوار ، فـي اثنتين وثلاثين مكتبـةً للأطفالِ ، تمتدُّ من سوهاج بصعيد مصر إلى الإسكندرية .

وكانَ أحدُ الأسئلةِ التي سمعْناها في معظمِ هذه اللقاءاتِ، هو:" من أين تستمدُّ أفكارَ قصصِك التي تنشرُها في بابِ " ألف حكاية وحكاية " ، أو في مجلةِ " نصف الدنيا " تحت عنوان " حكاية أعجبتني ؟"

كنْتُ أجيبُ : إن مصادرَ أدبِ الأطفـالِ هـي التـأليفُ ، والقَصَصُ الشَّعبيُّ ، والأدبُ العربيُّ القديمُ ، والتراثُ العالمِيُّ. وأكثرُ من نصفِ القصصِ التي ننشرُها ، مؤلَّفةٌ . أما بقيةُ القصصِ ، فنختارُها من المصادرِ الأخرى ، ونُعيدُ صياغتَها بشكلٍ كاملٍ في معظمِ



الأحيانِ، وذلك سواء القصص التى ننشرُها فى الأهرامِ اليومىِّ، أو التى كُنَّا ننشرُها فى أهرامِ الجمعةِ فى الثمانينياتِ تحتَ عنوانِ "قصة".

ولهذا فإن العقدَ المُحَرَّرَ بيننا وبين صحيفةِ الأهرامِ، منذ عامِ ١٩٨٢، ينصُّ على أن تكونَ موادُّ هذا البابِ، هى من تأليفِنا أو إعدادِنا أو ترجمتِنا.

ولهذا أيضًا، حَرَصْنا دائمًا على أن نقدِّم هذه الحكاياتِ تحتَ عنوانِ "إعداد أو تقديم"، مع أن عددًا كبيرًا منها من تأليفِنا.

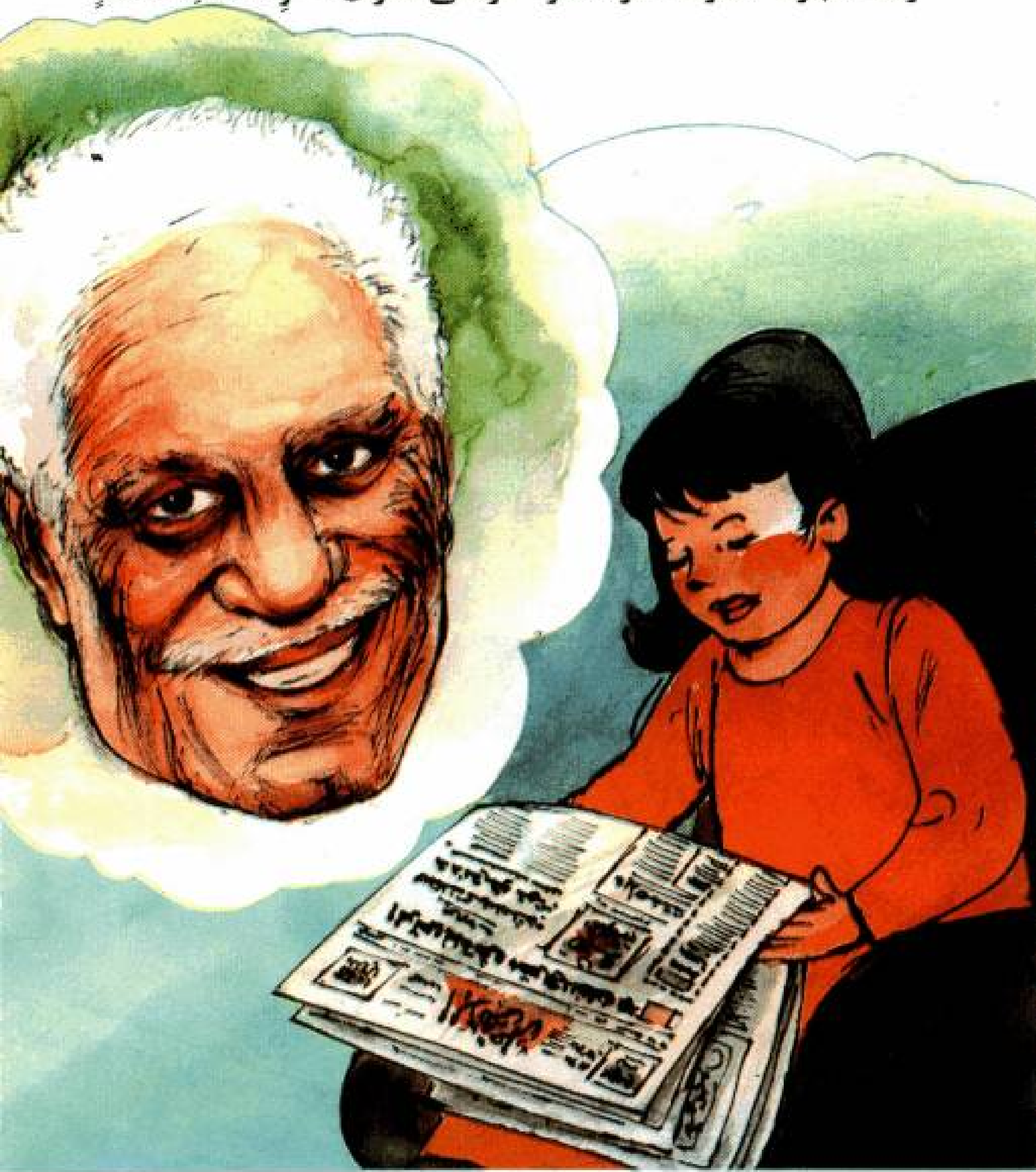
وبعدَ هذه الإجابةِ، كُنَّا ندعو الأطفالَ إلى إعادةِ صياغةِ هذه الحكاياتِ، معَ وضعِ حوار مُبْتَكَرٍ لبعضِ مواقفِها، مع تمثيلِ هذه المواقفِ أو رسمِها.

وكم من مواهبَ مُتألِّقةٍ اكتشفْناها بين أطفالِنا، ونحن نلعبُ معهم هذه اللعبةَ، التى كانَ الصغارُ يُسمُّونَها "لعبة الإبداع والابتكار."



الفارس الذى لا يزال يعيش بيننا

أسماء عمرُها ثلاثةَ عشرةَ سنةً ، وجدتُها قد استغرقَتْ تقرأ بعضَ أعدادٍ من صيحفةِ الأهرامِ . وعندما تطلَّعْتُ لأرى ماذا تقرأ ، رأيْتُ عبارةَ " معارك آخر العمر " ، وهى عنوانُ آخرِ سلسلةِ مقالاتٍ



كتبهَا فارسُ مصرَ الذى رحلَ ، الأستاذُ سعد الدين وهبة .

و بغيرِ أن أسألَها ، رفعَتْ رأسَها لتقولَ فى انبهار :

" هذه المقالاتُ تؤكدُ أنه انتصرَ فعلاً فى معركتِهِ مع المرضِ و الموتِ . لقد نجحَ في ترويضِ الداءِ القاتلِ ، فوقفَ ذلكَ الوحشُ أمامَهُ ، لا يستطيعُ أن يَمسَّ قدراتِهِ على الكتابةِ و الإبداعِ ، و على الاهتمامِ بمشروعاتِهِ الكبيرةِ ، مثلِ مهرجانِ القاهرةِ السينمائى الدولى ، ليقولَ لنا فى قوةٍ و حزمٍ ، مع أنه كانَ يعرفُ تمامًا خطورةَ مرضِهِ :

" الشرُّ لا يُقاوَمُ إلا بالعنادِ و الإصرارِ ، و أنا أنتظرُ الصحةَ و الحياةَ ، لأعودَ من جديدٍ إلى القاهرةِ ، إلى مكانى فى صفوفِ المناضلين ، من أجلِ عزةِ مصرَ و عزةِ العربِ ، و كرامتِها و كرامةِ العربِ . "

و أضافَتِ الصغيرةُ فى حماسٍ ، يؤكِّدُ إيمانَها بقيمةِ الإنسانِ و الحياةِ :

" إن مقالاتِهِ الأخيرةَ ، تؤكدُ أن الإنسانَ لا يموتُ إذا ماتَ الجسدُ .. الإنسانُ يموتُ إذا ضَعُفَتِ الإرادةُ ، أو تخاذلَتِ الروحُ ، أو فَقَدَ الإنسانُ الرغبةَ فى التحدِّى و المقاومةِ . "

" الإنسانُ ينتصرُ حتى على الموتِ ، طالما ظلَّتْ روحُهُ إلى اللحظةِ الأخيرةِ ، يملؤها الإصرارُ على المقاومةِ ، و الحماسُ للعملِ ، و الحرصُ على أداءِ الرسالةِ حتى النَّفَس الأخيرِ . "

غرامة فى قطار الصعيد

فى القطار الذاهبِ من المنيا إلى سوهاج بصعيدِ مصرَ، كنْتُ مُنهمِكًا فى القراءةِ . وفجأةً سمعْتُ أحدَ الركابِ يصيحُ : " الفلوسُ لا تُهِمُّنى !! "

والتفَتُّ ، فوجدْتُ رئيسَ القطار ، بملابسِهِ الرسميةِ ، قد أخرجَ دفترَ الغراماتِ وهو يقولُ : " غرامة ١٣ جنيهًا ، لأن التدخينَ مَمنوعٌ!! "

صاحَ الراكبُ : " كلُّ الناسِ تدخِّنُ !! "

قالَ رئيسُ القطار فى إصرار : " أنت تقتلُ غيرَكَ .. السجائرُ كلُّها أضرارٌ قاتلةٌ .. ادفع الغرامةَ ! "

عادَ الراكبُ يصيحُ :" لم أكنْ أعرفُ أن التدخينَ ممنوعٌ !!"

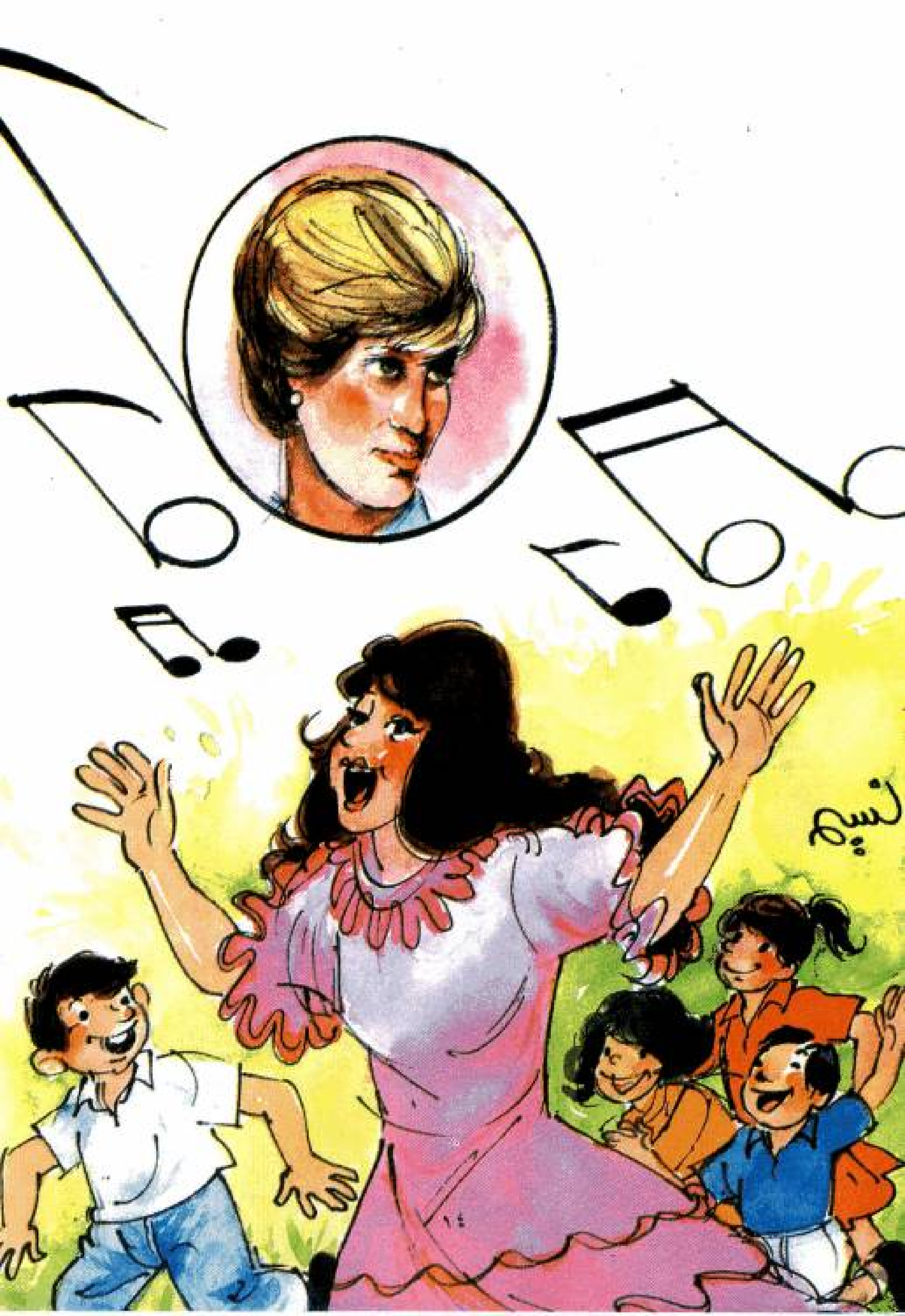
هنا أشارَ رئيسُ القطار إلى لافتةٍ مكتوبةٍ على باب عربةِ القطار ، وقالَ : " التحذيرُ مكتوبٌ بوضوحٍ . وحتى بغيرِ تحذيرٍ، هذه عربةٌ مكيفةُ الهواءِ .. عربةٌ مُغلَقةٌ .. دخانُ سيجارتِكَ لابد أن يذهبَ كلُّهُ إلى المسافرينَ الآخرين ، فيؤذِىَ رئةَ كلٍّ منهم أشدَّ الأذى ، بغيرِ ذنبٍ ارتكبوه .. أنت حرٌّ فى نفسِك ، لكنك لسْتَ حرًا فى حياةِ الآخرينَ . "

وأصرَّ رئيسُ قطار الصعيدِ على تحصيلِ الغرامةِ ، لكنه كانَ أكثرَ حرصًا على أن يسمعَ كلُّ ركابِ العربةِ حوارَهُ مع الراكبِ ، الذى لا

يُريدُ أن يعترفَ بالجريمةِ التى يرتكبُها ، عندما يُعرِّضُ الآخرين لأخطرِ الأمراضِ ، وأشدِّها فتكًا بحياةِ الإنسانِ .

وعندما تجاذبْتُ الحديثَ مع رئيسِ القطار ، قالَ لى : "يُهِمُّنى أن تعرفَ أننا لا نأخذُ أيةَ حوافزَ عن تحصيلِ غراماتِ التدخين ، لكن إيمانى بالضرر الجسيمِ للتدخينِ ، هو أقوى حافزٍ لى لتحصيلِ هذه الغراماتِ . "




نسيم

"دَيانا" وصوت الموسيقى

كلَّ صباحٍ ، كانَ الأبُ يفرضُ على أبنائه أن يقفوا أمامَهُ صفًا واحدًا ، كأنهم في طابور عسكريٍ ، وهم يرتدونَ كاملَ ملابسِهم الرسميةِ ، ليقدّموا له التحية .. لا يتحدثون إلا بإذنٍ منه ، وهو يحسبُ عليهم كلَّ حركةٍ وكلَّ كلمةٍ .

ثم جاءَتِ المربيةُ الجديدة ، فصنعَتْ لهم من قماشِ الستائرِ ، الذي يشبهُ قماشَ "الجينز" ، ملابسَ رياضيةً ، تساعدُهم على الجري والقفزِ بعد أن انطلقوا إلى أحضانِ الطبيعةِ ، يتأمّلونَها ويتعلمون منها .

كانَ هذا هو الموضوعَ الحقيقيَّ لقصةِ فيلمِ "صوت الموسيقى"، الذي أحبَّهُ الملايينُ ممن شاهدوه .. إنه موضوعُ الصراعِ بينَ التربيةِ التقليديةِ ، التي تتطلّبُ الطاعةَ والخضوعَ للتقاليدِ ، وعدمَ الخروجِ عن القوالبِ المحددةِ .. والتربيةِ السليمةِ ، التي تهدفُ إلى تنميةِ طاقاتِ الخلقِ والإبداعِ والابتكار لدى الأطفالِ .

وكانَتْ هذه هي نفسَ المشكلةِ ، التي ثارَ الخلافُ بشأنِها بين "دَيانا " وزوجها الأميرِ " تشارلز " وليِّ عهد إنجلترا ، حول أسلوبِ تربيةِ ابنَيهما .

وكانَ تصفيقُ الجماهيرِ حولَ جثمانِ دَيانا ، هو التأييدَ الشعبيَّ الجارفَ لأسلوبِ دَيانا ، الذي أكّدهُ البرلمانُ الإنجليزيُّ ، عندما قرَّرَ أنه لا يكفي تربيةُ الابنَيْنِ كأميرَيْنِ ، بل يجبُ تربيتُهما كمواطنَيْنِ، يرتبطانِ بالمجتمعِ وأبناءِ الشعبِ .

فى مواجهة الظلم !!

لى صديقٌ شقَّ طريقَهُ فى الحياةِ بمواهبِهِ وذكائهِ وعملِهِ الدائبِ ، لذلك كانَتْ تواجهُهُ ، كلما حقَّقَ نجاحًا كبيرًا ، الأحقادُ والأكاذيبُ والهجومُ الظالمُ .

ومع ذلك كنْتُ أراهُ يبتسمُ دائمًا ، ولا يكفُّ عن العملِ أبدًا .

فسألْتُهُ ذاتَ مرةٍ : " ألا يعطِّلُكَ هذا الهجومُ عليك ، والكَيْدُ لكَ ، عن عملِكَ وإنتاجِكَ ؟! "

ضحكَ وقالَ : " ثقتى باللهِ كبيرةٌ ، واللهُ لا يتخلَّى عن المظلومينَ . وها هى زوجتى بجوارى ، اسألْها .. ما من مرةٍ تعرَّضْتُ فيها لحملةٍ من حملاتِ الهجومِ الظالمِ ، إلا وانفتحَتْ أمامى ، من ناحيةٍ أخرى ، طاقةٌ من الخيرِ ، تقدِّمُ لى فُرَصًا أوسعَ للنجاحِ والتقدُّمِ أدبيًّا وماديًّا "

" فمرحبًا بالظلمِ ، لأنه أصبحَ ، بالنسبةِ إلىَّ ، بشيرًا بمزيدٍ من التقدُّمِ والنجاحِ !! "

